



## سرُّ الخِلافة (١٣)

رأت أسرة "التقوى" نشر كتاب حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام "سر الخِلافة" - في هذه الزاوية عبر حلقات -  
الذي رد فيه حضرته على أهم خلاف نشب بين المسلمين.. السنة والشيعه،  
أملّة أن يستنير القارئ العربي بالتحليل الموضوعي والبيان البلاغي للحكم العدل.

### المكتوب إلى علماء الهند

فمنهم المولوي عبد الجبار الغزنوي، والمولوي عبد الرحمن اللكوكوي، والمولوي غلام دستكير القصوروي، والمولوي مشتاق أحمد اللودهيانوي، والمولوي محمد إسحاق البتيالوي، والقاضي سليمان، والمولوي رشيد أحمد الكنكوئي، والمولوي محمد بشير البوفالوي، والمولوي عبد الحق الدهلوي، والمولوي نذير حسين الدهلوي، والشيخ حسين عرب البوفالوي، والحافظ عبد المنان الوزيرابادي، والمولوي شاه دين اللودهانوي، والمولوي عبد المجيد الدهلوي، والمولوي عبد العزيز اللوديانوي، والمولوي عبد الله تلوندي، والمولوي نذير حسين الأنبيتوي السهارنفوري.  
بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي يُطلع القمر بعد دُجى المحاق، ويُغيث بعد المحل بالبُعاق، ويرسل الرياح بعد الاحتباس، ويهدي عباده بعد وساوس الختّاس، ويُظهر نوره عند إحاطة الظلمات، وينزل رُشدًا عند طوفان الجهلات؛ والصلاة والسلام على سيد الرسل وخير الكائنات، وأصحابه الذين طهّروا الأرض من أنواع الهنات والبدعات، وآله الذين تركوا بأعمالهم أسوة حسنة للطيبين والطيبات، وعلى جميع عباد الله الصالحين.



أطاعوا وقومًا أعرضوا، وشرع البيعة لأهل الطريقة ليتوارثوا في البركات ويتضاعفوا، وأوجب عليهم حسن الظن ليحتملوا طرق الهلاك ويُعصموا، وفتح أبواب التوبة ليُرْحَموا ويُغْفَرُوا، والله أوسع فضلًا ورحمًا وهو أرحم الراحمين. وما كان لي أن أفترى على الله، والله يُهلك قوما ظالمين.

وإني سُمِّيتُ عيسى ابن مريم بأحكام الإلهام، فما كان لي أن أستقبل من هذا المقام بعدما أقامني عليه أمر الله العلام، وما أراه مخالفًا لنصوص كتاب الله ولا آثار خير المرسلين. بل زلّت قدمكم، وما خشيتم ندمكم، وما رجعت إلى القرآن، وما أمعنتم في الآثار حق الإمعان، وتركتم طرق الرشد والسدد، وملتتم إلى التعصب واللدد، وغشيتكم هوى النفس الأمّارة، فما فهمتم معاني العبارة، ووقفتم موقف المتعصبين. يا حسرة عليكم! إنكم تنتصبون لإزراء الناس، ولا ترون عيوب أنفسكم من خدع الخناس، وتمايلتم على الدنيا وأعراضها غافلين. ووالله إن جمع الدنيا والدين أمرٌ لم يحصل قط للظالمين، وإنه أشد وأصعب من نكاح حُرَّتَيْن ومعاشرة ضرَّتَيْن، لو كنتم متدبرين.

اعلموا أن لباس التقوى لا ينفع أحدًا من غير حقيقة يعلمها المولى، وما كلُّ سوداء تمرّة ولا كلُّ صهباء خمرّة، وكم من مزورٍ يعتلق برب العباد، اعتلاق الحرباء بالأعواد، لا يكون له حظ من ثمرتها، ولا علم من حلاوتها! وكذلك جعل الله قلوب المنافقين؛ يصلون ولا يعلمون ما الصلاة، ويتصدقون وما يعلمون ما الصدقات، ويصومون وما يعلمون ما الصيام، ويحجّون وما يعلمون ما الإحرام، ويتشهدون وما يعلمون ما التوحيد، ويسترجعون ولا يعرفون من المالك الوحيد،

أمّا بعد.. فيا عباد الله، إنكم أنتم تعلمون أن ريح نفحات الإسلام كيف ركدت، ومصايحه كيف خبّت، والفتن كيف عمّت وكثرت، وأنواع البدع كيف ظهرت وشاعت، وقد مضى رأس المائة الذي كنتم ترقبونه، ففكروا لِمَ ما ظهر مجدد كنتم تنتظرونه؟ أظنتم أن الله أخلف وعده أو كنتم قومًا غافلين؟

فاعلموا أن الله قد أرسلني لإصلاح هذا الزمان، وأعطاني علم كتابه القرآن، وجعلني مجددًا لأحكم بينكم فيما كنتم فيه مختلفين. فلم لا تطيعون حكْمكم ولم تصلون منكرين؟ وما كنتُ من الكافرين ولا من المرتدين، ولكن ما فهمتم سرّ الله، وحر فهمكم، وفرط وهمكم، وكفرتومي، وما بلغت معشار ما قلتُ لكم، وكنتم قومًا مستعجلين. ووالله إني لا أدعي النبوة ولا أجاوز الملة، ولا أعترف إلا من فضالة خاتم النبيين. وأؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، وأصلي وأستقبل القبلة، فلم تكفروني؟ ألا تخافون الله رب العالمين؟

أيها الناس لا تعجلوا عليّ، ويعلم ربّي أيّ مسلم، فلا تُكفروا المسلمين. وتدبروا صحف الله، وفكروا في كتاب مبين. وما خلقكم الله لتكفروا الناس بغير علم، وتركوا طرق رفق وحلم وحسن ظن، وتلعنوا المؤمنين. لِمَ تخالفون قول الله وأنتم تعلمون؟ أخلقتم لتكفير المؤمنين أو شققتم صدورنا، ورأيتم نفاقنا وكفرتنا وزورنا؟ فأيتها الناس، توبوا توبوا وتندموا، ولا تغلوا في ظنكم ولا تُصروا، واتقوا الله ولا تجترئوا ولا تياسوا من روح الله، وإنه لا يُضيع أمة خير المرسلين. خلق الناس ليعبدوا، وأرسل الرسل ليعرفوا، وليحكم فيما اختلفوا، ويبيّن الأحكام ليطيعوا ويؤجروا، وبعث المجددين ليذكّر الناس ما ذهلوا، ودقق معارفهم ليبتلوا، وليعلم الله قومًا



إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلٍ مِنْ أَسْفَلِ السَّافِلِينَ.

وأما عباد الله الصادقون، وعشاقه المخلصون، فهم يصلون إلى لبِّ الحقائق، ودُهن الدقائق، ويغرس الله في قلوبهم شجرة عظمتها ودوحة جلاله وعزّته، فيعيشون بمحبته ويموتون لمحبته، وإذا جاء وقت الحشر فيقومون من القبور في محبته. قوم فانون، والله موجعون، وإلى الله متبتّلون، وبتحريكه يتحركون، وبإنطاقه ينطقون، وبتبصيره يبصرون، وبإيمائه يُعادون أو يُوالون. الإيمان بإيمانهم، والعدم مكائهم، سُتروا في ملاحف غيرة الله فلا يعرفهم أحد من المحجوبين. يُعرفون بالآيات وخرق العادات والتأيدات من ربّ يتولاهم، وأنعم عليهم بأنواع الإنعامات. يدرّكهم عند كل مصيبة، وينصرهم في كل معركة بنصر مبین. إنهم تلاميذ الرحمن، والله كان لهم كالقوابل للصبّيان، فيكون كل حركتهم من يد القدرة، ومن مُحرك غاب من أعين البريّة، ويكون كل فعلهم خارقاً للعادة، ويفوقون الناس في جميع أنواع السعادة؛ فصبرهم كرامة، وصدقهم كرامة، ووفائهم كرامة، ورضائهم كرامة، وحلمهم كرامة، وعلمهم كرامة، وحيائهم كرامة، ودعائهم كرامة، وكلماتهم كرامة، وعبادتهم كرامة، وثباتهم كرامة؛ وينزلون من الله بمنزلة لا يعلمها الخلق. وإنهم قوم لا يشقى جلسهم، ولا يُرَدُّ أنيسهم، وتجد ربّاً المحبوب في مجالسهم، ونسيم البركات في محافلهم، إن كنتَ لست أحشَمَ ومن المحرومين. وينزل بركات على جدرانهم وأبوابهم وأحبابهم، فتراها إن كنتَ لستَ من قوم عمين.

أيها الناس.. قد تقطعت معاذيركم، وتبينت دقائيركم، وأقبلت عليّ إقبال سفاك، ولكن حفظني ربّي من

هلاك، فأصبحتُ مظفراً ومن الغالبين. أيها الناس.. قد اعتديتم اعتداءً كبيراً فاحشوا عليهم خبيراً، ولا تجعلوا أنفسكم بنحها ونحها كعظام استخراجت منّها، ولا تعثوا في الأرض معتدين. وإنّي امرؤ ما أبالي رفعة هذه الدنيا وخفضها، ورفعها وخفضها، بل أحنّ إلى الفقر والتربة، حين الشحيح إلى الذهب والفضة، وأتوق إلى التذلّ توقان السقيم إلى الدواء، وذي الخصاصة إلى أهل الثراء، وأتوكل على الله أحسن الخالقين. وما أخاف حصائد ألسنة، وغوائل كلم مزخرفة، ويتولاني ربي ويعصمني من كل شرّ ومن فتن المعاندين.

أيها الناس، لا تتبعوا من عادى، وقوموا فرادى فرادى، ثم فكروا إن كنتَ على حق، وأنتم لعنتموني وكذبتموني وكفرتموني وأذيتموني، فكيف كانت عاقبة الظالمين؟ وما اقتبلتُ أمر الخلافة إلا بحكم الله ذي الرأفة، وإني بيدي ربي الدابل، كصبيّ في أيدي القوابل، وقد كنت محزوناً من فتن الزمان، وغلبة النصارى وأنواع الافتنان، فلما رأى الله استطاره فرقي واستشاطه قلقي، ورأى أن قلبي ضجر، ونهر الدموع انفجر، وطارت النفس شعاعاً، وأرعدت الفرائض ارتياعاً، فنظر إليّ تخنناً وتلطفاً، وتخيّرني ترهما وتفضلاً، وقال: "إني جاعلك في الأرض خليفة"، وقال: "أردتُ أن أستخلف فخلقتُ آدم"، فهذا كله من ربي، فلا تحاربوا الله إن كنتم متقين. يفعل ما يريد، أنتم تعجبون؟ وإني قبلتُ أني أذلُّ الناس وأني أجهل الناس كما هو في قلوبكم، ولكن كيف أردتُ فضل أرحم الراحمين؟ وما تكلمتُ قبلاً في هذا الباب، بل عندي شهادة من الآثار والكتاب، فهل أنتم تقبلون؟ أما ترون كيف بين الله وفاة المسيح، وصدقه خير الرسل بالتصريح، وردّ فهما تفسيراً ابن عباس كما



تعلمون؟ أيها الناس، ثم أنتم تنكرون وتتركون قول الله ورسوله ولا تخافون، وتُكَيِّبُونَ على لفظ النزول وتعلمون معناه من زُبر الأولين. وما قصَّ الله عليكم قصَّةً إلا وله مثلاً ذُكر في صحف السابقين. فكيف الضلال وقد خلت لكم الأمثال؟ أتدرون سبيل الحق متعمدين؟ وقال الله: ورزقكم في السماء، وأخبركم عن نزول الحديد واللباس والأنعام وكل ما هو تحتاجون إليه، وتعلمون أن هذه الأشياء لا تنزل من السماء بل يحدث في الأرضين. فما كان إلا إشارة إلى نزول الأسباب المؤثرة من الحرارة والضوء والمطر والأهوية، فما لكم لا تتفكرون وتستعجلون؟ تعلمون ظاهر الأشياء وتنسون حقائقها وتمرون على آيات الله غافلين. وإن كنتم في شك من قولي فانتظروا مآل أمري وإني معكم من المنتظرين. وكم من علوم أخفاها الله ابتلاءً من عنده، فاعلموا أن السر مكنون، وما في يديكم إلا ظنون، فلا تكفروني لظنونكم يا معشر المنكرين. انتهوا خيراً لكم، وإني طبتُ نفساً عن كل ما تفعلون من الإيذاء والتحقير والتكذيب والتكفير، وما أشكو إلا إلى الله، بل لما بصرتُ بانقباضكم وتجلّى لي إعراضكم، علمتُ أنه ابتلاء من ربي، فله العُتْبَى حتى يرضى، وهو أرحم الراحمين. فذكرتُ ربّاً جليلاً، وصبرتُ صبراً جميلاً، ولكنكم ما اهتديتم، وظلمتم واعتديتم، قال الله ﴿لَا تَنَابَرُوا﴾، فنبذتم، وقال ﴿لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾، فسخرتم، وقال ﴿يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ كُنْ هَذَا صَخْرَةً وَإِنِّي لَمِنَ الْغَابِطِينَ﴾، فأنكرتم، وقال ﴿اجْتَبَيْتُمَا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ﴾، فظننتم وكفرتُموني ولعنتم، وقال ﴿لَا تَحْسَبُوا﴾، فتجسستُم، ثم صغرتُم وعبستُم، وقال ﴿لَا يَغْتَبِ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، وقال ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَى إِلَيْكُمْ

السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، فاغتنبتم وكفرتُم، وما أراكم إلى هذا الحين منتهين. أنسيتم أخذَ الله وضغطةَ القبر، أو لكم براءة في الزبر، أو أُذِنَ لكم من الله رب العالمين؟ فكروا ثم فكروا، أنفتي قلوبكم أن الله الذي يعينكم عند كل تردُّد هو أقوى مثل هذا الزمان عن مجدد؟ وقد كنتم تستفتحون من قبل، فلما جاء نصر الله صرتم أول المعرضين. ولوَيْتُم عني عذاركم، وأبديتُم ازوراركم، وصرفتم عني المودة، وبدلتم بالبغض المحبة، وذاب حسن ظنكم واضمحلاً، ورحل حبكم وانسل، وصرتم أكبر المعادين. فلما رأيتُ أعراض التزوير وانتهاء الأمر إلى التكفير، علمتُ أن مخاطبتي بهذه الإخوان مجلبة للهوان، فوجهتُ وجهي إلى أعزة العرب والمتفقيهن. وإني أرى أنهم يقبلونني ويأتونني ويعظمونني، فسرتني مرأى هذه الوجوه المباركة، ودعاني التفاوض بتلك الأقدام المبشرة إلى أن عمدت لتنميق بعض الرسائل في عربي ميين. فهممتُ لنفع تلك الإخوان بأن أكتب لهم بعض أسرار العرفان، فألفتُ "التحفة" و"الحمامة"، و"نور الحق" و"الكرامة"، ورسالة "إتمام الحجة" وهذه "سير الخلافة"، وفيها منافع للذين وردت منهم مورد الكافرين. وأرجو أن يغفر ربي لكل من يأتيني كالمقترفين المعترفين.

ألا تنظرون وما بقي من حُلل الدين إلا أطماراً محرقة، وما من قصره إلا أطلالا محرقة، وكُنَّا مُضْغَةً لِلْمَاضِيَيْنِ. أتعجبون من أن الله أدرككم بفضله ومنته، وما أضاحكم عن ظل رحمته؟ أكانت لهذا الزمان حاجة إلى دجال، وما كانوا محتاجين إلى نصرة رب فعال؟ ما لكم كيف تخوضون؟ أين ذهبت قوة غور العقل وفهم النقل، وأين رحلت فراستكم، وأي آفة نزلت على بصيرتكم، أنكم

أن وجود الملائكة من الإيمانيات، فنزولهم يشابه نزول الله في جميع الصفات. أيقبل عقلٌ إيمانيٌّ أن تخلو السماوات عند نزول الملائكة ولا تبقى فيها شيء بعد هذه الرحلة؟ كأنَّ صفوفها تقوضت، وأبوابها قُفلت، وشؤونها عُطّلت، وأمورها قُلبت، وكل سماء أَلقت ما فيها وتخلَّت. إن كان هذا هو الحق فأخرجوا من نصِّ إن كنتم صادقين. ولن تستطيعوا أن تخرجوا ولو متم، فتوبوا واتقوا الله يا معشر المعتدين.

اعلموا أن الدراية والرواية توأمان، فمن لا يراهما بنظر واحد فيقع في هوة الخسران، ويُضيع بضاعة العرفان، ثم بعد ذلك يُضيع حقيقة الإيمان ويلحق بالخاسرين. ومن خصائص ديننا أنه يجمع العقل مع النقل، والدراية مع الرواية، ولا يتركنا كالتائمين.

فنسأل الله تعالى أن يُعطينا حقائق الإيمان، ويُوطننا ثرى العرفان، ويرزقنا مرأى الجنان بأنوار الجنان، ويُمطينا قراً الإذعان، لنقتري قري مرضاة رب (١) الرحمن، ونتخيم بالحضرة ونسلى عن الأوطان، ونُغلس غادياً إلى مرضاة المولى، ونُحفد إلى ما هو أنسب وأولى، ونُحترق في مسالك العرفان، ونصلت في سِكَكِ حُبِّ الرحمن، ونأوي إلى حصون وثيقة، ومغانٍ أنيقة من صول الشياطين، باتباع النبي الأميِّ خاتم النبيين. اللهم فصلِّ وسلِّم عليه إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) هذا سهو الناسخ والصحيح "يقربونه". (التقوى)

(٢) هذا سهو الناسخ والصحيح "الرب". (التقوى)

لا تعرفون وجوه الصادقين والكاذبين؟ وقد لبثتُ فيكم عُمراً من قبله أفلا تعقلون؟ وإن رجلا يبذل قواه وكل ما رزقه الله وآتاه، لإعانة مذهب يرضاه، حتى يُحسب أنه أهله وذراه، وقد رأيتم مواساتي للإسلام، وبَدَلْ جهدي لملة خير الأنام، ثم لا تبصرون. وعرضتُ عليكم كل آية قُبلاً، ثم لا تنظرون. وإني جئتكم لأُنحيكم من مكر مُرْمِضٍ وروعٍ مُومِضٍ، ثم أنتم لا تفكرون. وعزوتُم إليَّ ادعاء النبوة، وما خشيتُم الله عند هذه الفرية، وما كنتم خائفين. ولا تفهمون مقالي، وتحسبون أجاجاً زلالِي، ولا تعقلون. وكيف يفهم الأسرار الإلهية من سدل ثوب الخيلاء، وعدل عن الحق بجذبات الشحناء، ورضي بالجهلات، ومال إلى الخزعبلات، وأعرض عن الصراط كالعَمِين؟

وتقولون إعراضاً عن مقالي، وإظهاراً لضالتي، إن الملائكة ينزلون إلى الأرض بأجسامهم ويُقَوُّون أماكن مقامهم، ويتركون السماوات خالية، وربما تمرَّ عليهم برهة من الزمان لا يرجعون إلى مكان، ولا تقرَّبونه (١) لتماذي الوقت على وجه الأرض لإتمام مهمات نوع الإنسان، ويضيعون زمان السفر بالبطالة كما هو رأي شيخ البطالة؛ وإنه قال في هذا الباب مجملاً، ولكن لزمه ذلك الفساد بدهاءة، فإن الذي محتاج إلى الحركة لإتمام الخطة، فلا شك أنه محتاج إلى صرف الزمان لقطع المسافة وإتمام العمل المطلوب من هذا السفر ذي الشأن، فالحاجة الأولى توجب وجود حاجة ثانية، فهذا تصرُّفٌ في عقيدة إيمانية. ثم من المحتمل أن لا يفضل وقت عن مقصود، ويبقى مقصود آخر كموءود؛ فانظر ما يلزم من المحذورات وذخيرة الخزعبلات، فكيف تخرجون من عقيدة إيمانية إلى التصرفات والتصريحات، وأنتم تعلمون